المشرق

العلم الحقيقي

لسيادة الحبر الجليل والعلامة الفضال المطران جرمانوس فتح المطران الأذنية

كلّ ما يرشد المرء الى الامور العمليّة بقوانين ورسوم موضوعة هو صناعةٌ. وما يقوده الى الحقائق بالمبادئ العقليّة والنتائج المتخاصة منها هو علمٌ. فالصرف والنحو والبيان واللغات هي صناعةٌ لا علمٌ. والمنطق(١ وسائر اقسام الفلسفة هي علوم حقيقيّة يستضيء بها الذهن ويكشف مبادئ الاشياء واسبابها وعللها والمستحيل والممكن والمستقيم والمعوجّ من الاعمال والافكار ويعرف خواصّ المادّة والبسيط وكثيرًا من اسرار الطبيعة التي أُودعت فيها بقدرة الخالق العظيم ويقف على قواعد الآداب الطبيعيّة وواجبات المرء نحو نفسه ونحو الله والقريب ويطّلع على غاية وجوده في الدنيا ويعرف موضوع سعادته الوحيد. وعلى قدر تمتّعه في هذه الدروس الشريفة يزداد حبًّا لخالقه ذي الجلال ومعرفةً للواجبات وميلًا الى الفضيلة والانقياد لنواهي مولاه الصمد واوامره ولذلك كان من اجلّ اقوال الحكمة ما قالهُ باكون العالم الانكليزي. « قليل من العلم يبعدني عن الله وكثيرٌ منهُ يقرّبني اليه». واذا التفتنا الى الذين افتُتِنوا في دينهم من اهل بلادنا ظهر لنا مصداق هذا القول الرائع احسن ظهور لاننا نرى انهم ممن عُرفوا عند العامّة بالعلم ووُصفوا بهِ وهم في الحقيقة ممّن لم يحيبوا منهُ الّا القزر القليل ولذلك ابعدتهم قلّة العلم عن الله فنبذوا حقائق الدين ظهريًّا وجعلوا يتلفّظون بعبارات الاستخفاف بالاداب الصحيحة ويتفكّهون باهل الورع والديانة. ومن الغريب انهم يجعلون استخفافهم بالدين عنوانًا لايمانهم في العلم مع انهُ دليلٌ دامغ على انهم لم يحصلوا

١) المنطق قسمان قسمٌ صناعي يتعلق بكيفية العمل وقسمٌ علميّ وهو مبنيّ على المبادئ العقلية

منهُ الّا على شذوذ يكاد لا يحسب شيئاً . وقد صار في يقين فئة من عوامّ بلادنا ان العلم يخرج بالمرء من خطّة الدين ويحملهُ على جحود كثير من حقائقهِ . وذلك ما حدا بعضهم على ان ينبذوا الدين ويزدروا اوامرهُ ونواهيهُ تمثّلاً باولئك الموصوفين بالعلم (وهم بالحقيقة من ادعيائهِ) ليقال عنهم انهم من اصحاب العقول الثاقبة والمعارف الواسعة

وهذا الذي قلناهُ ليس رجماً بالغيب او من قبيل الظنون بل من الحقائق التي اثبتتها لي شواهد الامتحان اذ اتاحت لي الايام والظروف المختلفة الاجتماع باشخاص عديدين من هولاء ادعياء العلم الغاوين وباحثتُهم في مواضيع شتّى فدلّت اجوبتهم على جهلٍ فاضح . وظهر من كلامهم انهم ليسوا على شيء من العلم . فهذا لا يتجاوز علمهُ قواعد النحو والصرف واللغة والعروض وما ذلك بعلم كما مرّ ولا يدعى صاحبهُ عالماً . وذاك يتكلم بلغةٍ اجنبية وقد درس الجغرافية ويعدُّ نفسهُ لذلك عالماً مع ان البناء يتكلم بلغاتٍ مختلفة . والآخر يدعي بالعلم لانهُ درس مبادئ المنطق الصناعية المدعوَّة باب العلوم وهي لا تحسب قسماً منها الّا للملاحظةٍ معلومة ومن عرف من الدار بابها لا يقال انهُ يعرفها . ومع ذلك فهو يدّعي انهُ عالمٌ فهّامة فيصوغ اقيسةً سفسطية يحيد بها عن مدارج الحق ويزيغ عن وضح المحجّة فيغدو مصداقاً لقولهم « من تمنطق تزندق دهراً »

وان قيل ان فلاناً المفتون في دينهِ لم يتعلم النحو والصرف والمنطق فقط بل درس ايضاً الفلسفة باقسامها فهو اذاً عالم بالحقيقة لا بالاسم . فالجواب ان امثال هذا العالم الجاحد فئتان . فئة درست مبادئ الفلسفة في احد المختصرات . وفئةٌ درست المطوّلات الممزوجة بالترهات والمبادئ الفاسدة على استاذٍ ضالّ . فمثل الفئة الاولى مثل من درس من النحو الاجرومية فعدّ نفسهُ نحوياً بارعاً يباري سيبويه والكسائيّ وابن مالك وعمد الى انشاء المقالات وتصحيح الكتب . فلا جرم ان ما يصدر عن قلمهِ يكون مشحوناً بالاغلاط والتراكيب السقيمة والمعاني التافهة واضحوكة للناظرين . ومثل الفئة الثانية مثل السقيم يداويهِ دجّال والكفيف يقودهُ اعمى فالفئة الاولى اي الذين درسوا من الفلسفة مبادئها هي اكثر عدداً في بلادنا وعدد منهم غير يسير قد درسوها على اساتذة مستقيمي الراي . ولكنهم غووا وضلّوا سبيل الهدى لانهم عدوا انفسهم فلاسفة وليسوا كذلك . ولانهم بعد خروجهم من المدرسة يعمدون الى كتب الكفرة والجاحدين

فيطالعونها بشهوة وتتموج مبادئها الفاسدة بعقولهم لموافقتها اهواءهم النفسانية وتسهيلها لهم سبيل الخروج عن طاعة اوامر الديانة الصعبة المراس ولا يفتحون كتاباً من تأليفات الفلاسفة الحقيقيين واللاهوتيين المدققين

وهنالك سبب آخر عام يُعدُّ مصدراً للغوايات والاضاليل وهو ان هؤلاء واولئك يدّعون الوحيَ جانباً ويستندون في ابحاثهم الى العقل وحده. فتزلّ اقدامهم وتشرد تصوراتهم ويتيه دليلهم ويتمون في مهواة الغيّ. ألا ترى الفلاسفة العظام الذين لم تستنر عقولهم بضياء الوحي كارسطو وافلاطون وسقراط وغيرهم كيف ضلّوا وُجهةَ الصواب في اكثر الحقائق الالهيّة. وانظر الى الذين اعتمدوا في ابحاثهم العقليّة على العقل وحده تاركين ما اوحاهُ الله جانباً كيف تهوّروا في أضاليل مضحكة ولم يستقرّ لهم رأيٌ على شيء. فلم يسلم من شائبة الغواية الّا الفلاسفة الذين استعانوا بالكتب المنزلة واتخذوها مصدراً للحقّ فاثبتوا بالفلسفة قضايا الايمان وقوّموا الفلسفة بالحقائق الموحاة موفقين بين الامرين فصدر عن منهجهم هذا القويم علم الكلام وهو « الحجاج عن العقائد الايمانيّة بالادلّة العقليّة » فكانت لذلك آراؤهم سديدةً تُضاحك المشكلات وتزيل الشبهات

ويتخلّص من كلّ ما ذُكر انّ جحود الحقائق الدينيّة ليس دليلاً على علم المرء وحدّة ذهنه كما يتوهّم بعض العامّة بل هو دليل على جهله وانحطاط مداركه وكبريائه. فاذا رأيت رجلاً من هؤلاء يتباهى بذاك الجحود فاعلم انهُ ممّن خلَوا من العلم الصحيح ومعرفة قدر عقولهم الضعيفة. أليس من الجهل والكبرياء ان لا يعتقد المرء الّا بما يدركهُ عقلهُ. فما العقل البشريّ حتى يُدرك امورَ الله وأعمالَهُ الغير المدركة. فهو صغير محدود والامور الالهيّة سامية غير محدودة. وكيف يسع القَدَحُ الصغير جرّةَ ماء كبيرة فعلى الذين لم يُعطَوا موهبة العلم الصحيح او رُزقوا منهُ يسيرًا ان يعترفوا بقصورهم ويطلبوا الشهرة من غير هذا الوجه الموبق. وليرفعوا من قلوبهم تلك الدّعاوة المُردية والتفاخر المعيب. بل فلتردهم قلّةُ علمهم اتضاعاً وتمسّكاً بالحقائق الكاثوليكيّة المقدّسة الموحاة منهُ عزّ وجلّ وليطوروا عن مطالعة كتب الجاحدين ومجلّاتهم كشحاً لانها تنفث في صدورهم سمّ الشكوك والارتيابات بمخرقتها ومغالطاتها التي لا يضطلعون بدحضها لعدم تمكّنهم من العلوم العالية ولا سيّما علم اللاهوت الاعتقادي

تلك خطرات افكار في هذا الموضوع المهمّ. ولعلّ المشرق الاغرّ الذي تصدره

جماعة العلم الصحيح وحُماة الدين القويم يزيدها من واسع علمه نصحًا ان غوى والى دركات الضلال هَوَى والله الموفق الى قصد السبيل

الطاعون الدمَّلي

مقالة للاب لويس بولوموا مدرّس العلوم البكتريولوجيّة في مكتبنا الطبيّ

١ تاريخ الطاعون

ما من آفة نال أذاها البشر في كرور الاجيال ونشرت في العالم المَوتان والاهوال كداء الطاعون العضال الذي ابقى في مخيّلة الشعوب اثرًا مشؤومًا ترتجف الفرائص لذكر شَراهُ الجحاف وسهمه القتّال

ولكن قد وهم البعض اذ نسبوا الى الطاعون الاسود او الدُّمَلي أوبئةً أخرى اسهب قدماء المؤرّخين في تعريف خواصها المَرَضيّة. وذلك انّهُ شُبه عليهم اسم الطاعون الذي وجدوهُ في اوصاف اولئك المؤلفين فتلقّوا انّ المراد هو الطاعون الاسود. والصواب انّ لفظة الطاعون في العربيّة كلفظة (Peste) عند الاوربيين ربّما أُطلقت على كلّ عدوى تنتشر في بعض البلاد وتجحف بقسم من سكّانها وذلك امرٌ اشار اليه جالينوس الطبيب الشهير. ولكن اذا حصرنا الكلام على الطاعون الاسود وجدنا انّ ما يُميّز به هذا الداء عمّا سواهُ الغُدد او النقّاطات التي تظهر في جسم المصابين على جلدهم. فاذا لم تبدُ هذه الخُراجات فليس الداء بطاعون وانّما هو وباء شبيه به من حيث مفاعيله الوخيمة. وعليه فانّنا لا نعدُّ كطاعون ثلاث آفات احتلّ بلاؤها في القرون الغابرة على بعض الاصقاع ودعاها المؤرخون طاعونًا غير انهم سكتوا في تشخيصها عن ذكر البثور الخاصّة بالطاعون الاسود. وكان ظهور الوباء الاوّل في بلاد اليونان سنة ٤٣٠ قبل المسيح في خلال الحرب البيلوبونيسيّة ولم يلبث ان عمّ شرُّها البلاد المجاورة من آسية الصغرى والجزائر البحريّة. وقد تضاربت آراء المحدثين في بيان امر هذا الداء الذي وصفهُ توقيديد المؤرخ أهو الحمّى الصفراء او التيفوس او الجدري او غير ذلك ممّا لا يهمّنا الآن الخوض في البحث عنهُ. امّا العدوى الثانية فانّها اصابت الجيوش الرومانيّة سنة ١٦٦ م على عهد مرقس اوريليوس وقت سيرها لمحاربة البرتيين تحت قيادة